مقال مراجعة موضوع

اثر الفن البيزنطي على الفن الاسلامي

م .م . حسين علي محمد الخفاجي

وزارة التربية

الكلمات المفتاحية: الفن، البيزنطي، الفن الاسلامي.

الملخص:

ان الفن البيزنطي هو ذلك الأسلوب الذي نشأ من اندماج اتجاهين او اسلوبين متعاكسين في الفن هما الكنيسة والتقاليد الإمبراطورية، اذ ان انتشار تأثير الفن البيزنطي الذي حكم بشكل مطلق بيزنطة بأسلوب جديد، عبر مساحات واسعة، وقد يرجع سبب ذلك الى ازدهار الحكم في الإمبراطورية البيزنطية في ذلك الوقت، فطالما دام واستقر حكم بيزنطة، طالما ازدهر الفن فيها، فقد كانت الإمبراطورية البيزنطية مدينة عالمية، توازي المكانة العالمية التي وصلت اليها روما في القرنين الأول والثاني للميلاد، اذ كانت تضم خليطاً دولياً من السكان، فضلاً عن كونها مركزاً مهماً للصناعة والتجارة ونقطة التقاء مسار التجارة ما بين الشرق والغرب، وهذا ما منحها فرصة رائعة في التبادل الثقافي والفني ما بينها وبين الدول المجاورة لها.

المقدمة:

من المعروف ان الاسس الاولى التي يقوم عليها اي فن من فنون الحضارات القديمة، هي العناصر الزخرفية، التي يتكون من تجميع تلك العناصر ومن اسلوبها في رسم و تصوير هذا الفن، اذ ان العناصر الزخرفية سواء كانت نباتية او حيوانية او هندسية تكاد تكون واحده في كل انواع الفنون التي عرفتها المجتمعات الانسانية. ونجد ان الاساليب الفنية والتطبيقية التي عالجت بها كل عنصر من تلك العناصر، قد يختلف من حضارة الى اخرى ومن عصر لآخر.

اذ ان اسلوب الفن الهلينستي، قد تطور عندما انتشر الدين المسيحي، واخذ سيادته الكاملة في القرن الخامس الميلادي، فأدى ذلك الى قيام الفن البيزنطي وظهوره بشكلاً بارزاً ومبهراً، اذ ان الحضارة البيزنطية هي حضارة شرقية عاشت على ارض عربية وتأثرت بالعديد من الحضارات والعقائد والديانات، كما ان هذه الارض تعرضت الى الكثير من الهزات

والحروب، وظهر ذلك واضحاً في الكثير من الفنون لنتاجات تلك الفترة الحضارية كالعمارة والفسيفساء والرسم الجداري والاواني الخزفية وغيرها من الفنون الاخرى التي كانت تستخدم للتعبير عن قصصهم وحكاياتهم.

ويعد الفن البيزنطي احدى حلقات الفنون الشرقية، اذ انه يمثل انصهاراً للاساليب الشرقية والكلاسيكية، وان هذا الانصهار يمثل جوهر ذاته العناصر من روما من العالم الهليني، ومن الشرق معاً، وخلط التأثير بالعقيدة المسيحية الجديدة ويتجلى ذلك في فروع الفن البيونطي المختلفة كل العناصر الشرقية والهلينستية بنسب متفاوتة، فلقد غزت الروح الهلينستية التصوير والنحت مرة بعد اخرى، ومع ذلك فإن فن العمارة عرف منذ زمن مبكر العناصر التي يتألف منها اسلوبه الخاص وتطور بعد ذلك تطوراً طبيعياً طبقاً لقواعده الخاصة. (Rice،1935،p.16).

فأبرز ما نشاهده في الطراز البيزنطي، هواعتماد الفنان البيزنطي في كثير من الاحيان على التغالي في التكوينات المعمارية والزخرفية، من حيث استخدام المواد النادرة والثمينة، والاسراف في التذهيب، اكثر من اعتماده على القيم والنسب الفنية المثلى، حيث كانت هذه القيم والنسب، في المرتبة الاولى في العصور الهلينية، والهلينستية الرومانية.

حيث يعتمد الفن البيزنطي على تجسيد التاريخ المقدس، كما استخدم التصويرات الرمزية، مثل السمكة والقيثارة واليمامة والصليب والطاووس ،وعناقيد العنب واوراقه النباتية، والتي تخدم العقيدة المسيحية، فضلاً عن الزخارف البشرية التي تمثل رجال الدين والملائكة والقديسين، إذ ساد على اغلب هذه الزخارف التي ظهرت في الكثير من الفنون البيزنطية، ومنها فن الخزف نوعاً من التجريد والتحوير والتبسيط (فرانسوا:2002، ص88).

ونجد في الزخارف الهندسية التي ظهرت في الكثير من الفنون البيزنطية، ومنها فن الخزف، فقد ابتكر الفنان البيزنطي اشكالاً هندسية كثيرة كالدوائر والمربعات والاشكال النجمية كما في الشكل (1، 2)، والمثلثات التي يتخللها زخارف نباتية شكل(3)، اضافةً الى اشكال المضلعات المنتظمة، والتي غالباً ما تكون متصلة بتكوينات زخرفية من خلال انشوطة او عقدة.

بينما نجد الزخارف النباتية قد سادها طابع البساطة والتلقائية والتحوير الزخرفي، الذي غلب عليها بشكل كبير جداً، كما غلب عليها ايضاً بعض من التأثيرات الشرقية، اذ تم استخدام الاغصان والاوراق النباتية ذات الثلاث او الخمس وريقات، وعناقيد العنب والازهار ايضاً كزهرة الانثيمون والاكانتس التي ترمز الى السماء في العقيدة المسيحية (Hassan

،1944، p. 202)، واللبلاب وزهرة الروزيتا، والكثير من الازهار والاوراق النباتية التي حورها الفنان البيزنطي، والتي يصعب ارجاعها الى اصلها الطبيعي، كما اعتمد الفنان البيزنطي ايضاً على مبدأ التكرار والتماثل في الزخارف النباتية مع تداخلها بتكوينات وعناصر هندسية كما في الشكل (4، 5).

اما زخارف الكائنات الحية، فقد رسمت ونقشت على الكثير من الفنون البيزنطية بما فيها فن الخزف، حيث يمثل الشكل (6)،رسماً لسمكة مرسومة على صحن خزفي(بابا نيكولا : 1999،ص173)، اذ تم رسمها بصبغة خضراء اللون، وتحيط بها زخرفة نباتية مكونة من اغصان واوراق، قد تم تحويرها عن اصلها الطبيعي. حيث ان رسم السمكة قد تم تنفيذه على اغلب الفنون والخامات البيزنطية، ومنها فن الخزف، وهذا ما يؤكد ويدلل على حب المجتمع البيزنطي للبيئة الطبيعية.

كما نجد صحناً خزفياً اخر يحمل رسماً لطائراً، يسوده التبسيط والتجريد في الخطوط والالوان المختزلة على اللونين الاصفر والبني شكل (7)، ويتدلى من فمه ورقة نباتية، كما تم تحوير ارجل الطائر الى اغصان وفروع تحمل اوراقاً نباتية مأخوذة من البيئة الطبيعية.

وللاشكال الحيوانية كان لها حضوراً مميزاً على السطوح الخزفية البيزنطية، اذ اهتم الخزاف البيزنطي بزخارف الاشكال الحيوانية، ونفذها على سطوحه الخزفية، حيث يمثل الشكل(8) (جايرود:2003، ص121)، مشهد صيد اذ نرى الفهد ينقض على غزلاً بقوة، وسط النباتات والاحراش، وهو مشهد يمثل البيئة الريفية، والفنان البيزنطي اعتاد على هذه المشاهد في حياته اليومية، وهذا ما دعاه الى توثيق هذه المشاهد، ورسمها على سطوح خزفياته، وهذا ما يؤكد حب الفنان البيزنطي لبيئته الطبيعية.

ومن خلال ما تقدم يمكننا ان نوضح ابرز التأثيرات الفنية من عناصر او وحدات زخرفية التي تأثر بها الفن الاسلامي وهي كالآتي:

1- لقد تأثر الفن الاسلامي بالزخارف الهندسية، فقد تم استخدامها في كل انواع الفنون، وخاصة الاشكال النجمية والمضلعات المنتظمة، كما تم استخدام المربعات والدوائر والمثلثات، التي يتخللها تكوينات ووحدات زخرفية او عقد او عناصر نباتية محورة.

2- نرى ان الفن الاسلامي قد تأثر ايضاً بالزخارف النباتية، حيث تم تنفيذ اغلب هذه الزخارف على جميع فنونه وخاصة فن الخزف، اذ نرى طابع البساطة والتجريد والتحوير يغلب عليها، كما تم تحوير الكثير من الازهار والاوراق النباتية التي يصعب ارجاعها الى اصلها الطبيعي، وحتى لا تتعارض مع عقيدته الدينية.

3- استخدم الفن الاسلامي زخارف الكائنات الحية، كالاسماك والطيور بأختلاف انواعها، وخاصة الطاووس، حيث نلاحظ الكثير منها قد رسمت ونفذت على السطوح الخزفية، ولكنها بدون اي معنى يدل على رمزيتها، اذ تم تحويرها وتجريدها من خلال التلاعب بأعضاءها حتى لا تحاكي الواقع، كما اضيف لها عناصر ووحدات زخرفية مأخوذة من الطبيعة.

4- نجد ان الفن الاسلامي قد تأثر بالزخارف الحيوانية، كالفهود والغزلان والنمور والخيول وغيرها الكثير من هذه الحيوانات ذوات الاربعة، فقد نرى هذه الزخارف قد رسمت في كل فنون وخامات الفن الاسلامي، كالمعادن والخشب والتصوير والسجاد والخزف وغيرها، كما تم تحوير وتجريد هذه الاشكال عند رسمها والتلاعب في اجزاءها واعضاءها، لكي يفرغها من اي محتوى رمزي، وحتى لا يحاكي الخالق في خلقه.

5- اعتمد الفن الاسلامي على مبدأ التكرار والتماثل في معظم زخارفه، وخاصة الزخارف النباتية والهندسية.

شكل (1)	شكل (2)	شكل (3)	شكل (4)

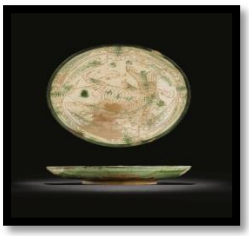

شكل (5)	شكل (6)	شكل (7)	شكل (8)

المصادر والمراجع

1- بابانيكولا، باكيرتزيس: الخزف البيزنطي المزجج. أثينا ، 1999.

2- جايرود، ر: التقليد الشرقي لسجرافيتو: بين بيزنطة والعالم الإسلامي،(القرنان العاشر والخامس عشر)، في وقائع المؤتمر الدولي السابع لخزف العصور الوسطى في البحر الأبيض المتوسط، ثيسالونيكي ، أثينا ، 2003.

3- فرانسوا، ف ، اي ، وجي- ام سبايزر: الفخار والزجاج في بيزنطة، التاريخ الاقتصادي لبيزنطة، واشنطن ، مكتبة ومجموعة أبحاث دمبارتون أوكس، 2002.

4- Rice (D.T.)، Byzantine Art ، Great Britain ، 1935 .

5- Hassan (Z.M.)، Exposition d، Art Copte Decembre ، le Caire ،1944 .

Review Article

The effect of Byzantine art on Islamic art

Hussain Ali Muhammad Al-Khafaji

Ministry of Education

ha8699183@gmali.cmo

keywords: Monument، art، Byzantine، Islamic art

Summary:

Byzantine art is that style that arose from the merger of two directions or two opposite styles in art، which are the church and imperial traditions، as the influence of Byzantine art، which ruled absolutely Byzantium in a new style، spread across large areas، and the reason for this may be due to the prosperity of rule in the Byzantine Empire in At that time، as long as the rule of Byzantium lasted and stabilized، as long as art flourished in it، the Byzantine Empire was a global city، equivalent to the global status that Rome reached in the first and second centuries AD، as it included an international mixture of the population، in addition to being an important center for industry and trade and a point The convergence of the trade route between East and West، which gave it a wonderful opportunity for cultural and artistic exchange between it and its neighboring countries.